جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة بالمنوفية



أثر سقوط بغداد على أداء العراقيين لشعائر الحج

١٢٥٨ – ١٣٠٠م / ٦٥٦– ٧٠٠هـ

الدكتورة
رحمة بنت حمود بن فطيس النفيعي
أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد قسم التاريخ
كلية الآداب والعلوم الانسانية - جامعة الباحة

أثر سقوط بغداد على أداء العراقيين لشعائر الحج
١٢٥٨ – ١٣٠٠م / ٦٥٦- ٧٠٠هـ

رحمة بنت حمود بن فطيس النفيعي
قسم التاريخ الإسلامي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة الباحة – السعودية
الإيميل: rahmanafie@kfu.edu.sa

ملخص البحث:

لقد كان للدولة العباسية دور كبير في تأمين طرق الحج إلى مكة والمدينة لعظم هذا الفرض الديني امتدادا لجهود الخليفة عبدالله بن محمد مؤسس الدولة في جانب تأمين طريق الحج من بغداد إلى مكة، كما امتدت اهتماماتهم بكسوة الكعبة ورعاية المدينتين المقدستين والحرمين الشريفين ولكن تمر جحافل جيوش المغول لتكتسح معالم الدولة وتسقط الدولة العباسية مع سقوط بغداد وتسقط حاضرة الخلافة بغداد في النهاية ويصبح سكان بغداد تحت سيطرة المغول بعدما أصيبت الأمة بأمراض منها عدم وضوح الهوية الإسلامية والفرقة بين الأمة الإسلامية والترف والركون إلى الدنيا، وما يهمنا هو كيف كان حال أداء فريضة الحج مع إقامة شعائره ومعاملة المغول مع هذه المسألة.

إن هذا الموضوع يُعَدُ واحداً من الموضوعات الهامة التي تشير إلي تأثير الغزو التتري في ممارسة المسلمين في العراق لشعائرهم الدينية، وخاصة شعائر الحج وتتناول الدراسة أوصافاً متنوعة للحالة التي عايشها العالم الإسلامي في هذه الفترة.

الكلمات المفتاحية: أثر، سقوط بغداد، أداء العراقيين، لشعائر الحج.

The Impact of the Fall of Baghdad on the Performance of Hajj Rituals by Iraqis
(1258–1300**AD** / 656–700 **AH**)

Rahma bint Hammoud bin Fetais Al-Nafaie
Department of Islamic History, College of Arts and Humanities - Al-Baha University - Saudi Arabia
Email: **rahmanafie@kfu.edu.sa**

Abstract:

The Abbasid state had a major role in securing the pilgrimage routes to Mecca and Medina due to the greatness of this religious obligation as an extension of the efforts of the Caliph Abdullah bin Muhammad, the founder of the state, in securing the pilgrimage route from Baghdad to Mecca. To sweep away the features of the state and the fall of the Abbasid state with the fall of Baghdad, and the capital of the caliphate, Baghdad, falls in the end, and the residents of Baghdad become under the control of the Mongols after the nation was afflicted with diseases, including the lack of clarity of the Islamic identity and the division between the Islamic nation, luxury and dependence on the world, and what we care about is how the performance of the Hajj was with the establishment His rituals and the Mughals' treatment of the matter.

This topic is considered one of the important topics that indicate the impact of the Tatar invasion on the practice of Muslims in Iraq for their religious rituals, especially the rituals of Hajj. The study deals with various descriptions of the situation experienced by the Islamic world during this period.

Keywords: Impact, the Fall of Baghdad, the Iraqis' Performance, Hajj Rituals.



مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله ذي النعم، خالق البشر وصاحب الحكم والأمر من قبل ومن بعد، وصلي الله (ﷺ) علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم وبعد، فإن هذا الموضوع من الموضوعات المهمة والتي تثري حقل الدراسات التاريخية، وذلك لأهمية هذه الدراسة وهذه الفترة التي كان لها الدور الكبير في تغيير تاريخ العالم، بعدما سقطت بغداد حاضرة البشرية في هذه الفترة التي ضعفت فيها الخلافة العباسية، ومن ثم سقوطها بعدما ظهرت هذه القبائل الهمجية من التتار والمغول؛ لتنطلق بعد ذلك وتجتاح البشرية بدءا من الصين ليرتكبوا الفظائع التي لا ينساها التاريخ.

وفي نفس الوقت كانت الدولة العباسية في الشرق تعاني ولا تسيطر في الحقيقة سوى على العراق وخوزستان وقد تضاءلت الخلافة وضاعت هيبتها في القرن السابع الهجري؛ حيث كانت مصر والحجاز والشام واليمن تحت سيطرة الأيوبيين، والذين ضعفت دولتهم بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي، كما كان الصراع قائما بين أمراء وملوك المسلمين فقد كانت هناك عداوة بين الخليفة العباسي والخوارزميين كما كانت هناك دول منفصلة عن الخلافة العباسية كالسلاجقة والغوريين وفي النهاية يأتي المغول بقيادة هولاكو ليقضي على كل هؤلاء ويستولي على بخارى وسمرقند وفارس والعراق وبلاد الشام.

وكان للدولة العباسية دورها الكبير في تأمين طرق الحج إلى مكة والمدينة لعظم هذا الفرض الديني امتدادا لجهود الخليفة عبدالله بن محمد مؤسس الدولة في جانب تأمين طريق الحج من بغداد إلى مكة، كما امتدت اهتماماتهم بكسوة الكعبة ورعاية المدينتين المقدستين والحرمين الشريفين ولكن تمر جحافل جيوش المغول لتكتسح معالم الدولة وتسقط الدولة العباسية مع سقوط بغداد.

وتسقط حاضرة الخلافة بغداد في النهاية ويصبح سكان بغداد تحت سيطرة المغول بعدما أصيبت الأمة بأمراض منها عدم وضوح الهوية الإسلامية والفرقة بين الأمة الإسلامية والترف والركون إلى الدنيا، وما يهمنا هو كيف كان حال أداء فريضة الحج مع إقامة شعائره ومعاملة المغول مع هذه المسألة

وقد سبقت هذه الدراسة دراسات عديدة منها على سبيل المثال:

١- **(**إمارة الحج في العصر العباسي من ١٣٢هـ إلى ٢٤٧هـ**)** وهي رسالة ماجستير في الحضارة والنظم الإسلامية المقدمة لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة أم ا لقرى بمكة المكرمة عام ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م، حول إمارة الحج وواجبات أمير الحج والأثر الحضاري لإمارة الحج، و جهود العباسيين في تأمين طرق الحج وتيسير وتوفير خدمات الحج وقد استفدت كثيرا من هذه الدراسة القيمة.

٢- **(**طريق ركب الحج العراقي من الكوفة إلى مكة من الفتح الإسلامي حتى سقوط بغداد**)** المنشورة في مجلة الدارة المجلد التاسع العدد الثاني، عدد أكتوبر-محرم، والتي تعرض لطريق الحج العراقي ورحلات الحج والخدمات الاجتماعية واهتمام الخلفاء بالطرق ونماذج من أعمال الخلفاء، وهي دراسة مطعمة بالصور والأشكال التوضيحية والخرائط.

٣- **(**تاريخ المغول وغزو الدولة الإسلامية**)** للدكتورة/ **إيناس حسني البهجي** طبعة مركز عمان للكتاب الأكاديمي ٢٠١٦م، حول المشروع المغولي وغزوهم لبلاد المسلمين، وسقوط بغداد على يد المغول وقد استفدت كثيرا من هذه الدراسة حول ظروف سقوط بغداد.

٤- **(**جهود الخلفاء العباسيين وأتباعهم في خدمة طرق الحج العراقية وتطويرها ١٣٢- ٦٥٦هـ المنشورة في مجلة العلوم العربية والإنسانية

المنشورة في جامعة القصيم بتاريخ ديسمبر ٢٠١٧م الصفحات من ٨١٥– ٨٦١ وقد استفدت الكثير عن طرق الحج في عهد الدولة العباسية.

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد وإلى سبعة مباحث:

أعرض فيها لإمارة الحج وجهود العباسيين في تأمين طرق الحج، وتوفير الخدمات ثم ضعف الدولة العباسية وتأثير ذلك على طرق الحجيج ثم سقوط بغداد، وما نتج عن ذلك وتأثيره على أداء شعيرة الحج وطريقة تعامل المغول مع ممارسة العراقيين لفريضة الحج، بعد سيطرتهم على العراق، وقد استفدت من المصادر والمراجع القديمة والحديثة.

والمنهج المستخدم في الدراسة هو المنهج التاريخي الذي يعتمد على الوصف و السرد التاريخي للأحداث الماضية ثم يفسرها على أسس علمية ومنهجية دقيقة ومن ثم استخلاص الحقائق من بين ثنايا هذا السرد، ومعرفة حقيقة تعامل المغول مع مسألة الحج وشعائره أثناء حكمهم للعراق. وقد حرصت في منهجي أن أحصل المعلومة من مصدرها الأول ومحاولة عرضها بأسلوب علمي واضح.

وأرجو أن يوفقني الله لما فيه السداد والصواب، وأن يكون هذا البحث إضافة علمية متميزة ومتمايزة، والله من وراء القصد.

المبحث الأول

إمارة الحج قبل العصر العباسي

قال تعالى: **{وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ}**(١).

وقال تعالى: **{وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}**(٢).

استجاب المسلمون لهذا النداء منذ عهد الرسالة الأولى لأداء الفريضة ومن هنا أصبح لزاما أن يرعى مصالحهم ويحل مشاكلهم أمير هو أمير الحج.

وقال تعالى: **{فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ}**(٣).

والأمان وتأمين الطرق مهم للحجاج من أجل الوصول إلى الأراضي المقدسة وتأدية شعائر الحج، والأمان داخل الأراضي المقدسة وهذه مهمة من مهام أمير الحج.

استخلف النبي (ﷺ) في السنة الثامنة من الهجرة عتاب بن أسيد على مكة المكرمة، وجعله على الصلاة وكما ذكر ابن إسحاق "وحجَّ بالناس في تلك السنة على ما كانت العربُ تحج عليه، وحج بالمسلمين تلك السنة عَتَّابُ بن أَسيد، وهي سنة ثمان(٤) هجرية".

---

(١) سورة الحج: الآية ٢٧.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٩٧.

(٣) سورة البقرة: الآية ٩٦.

(٤) سيرة ابن هشام: دار الصحابة بطنطا، ط١، ١٩٩٥، ج٤، ص ٧٩.

وفي السنة التاسعة فقد حج أبو بكر(﵁) بالمسلمين بأمر النبي (ﷺ) لقد بعث النبيُّ (ﷺ) أبا بكر (﵁) أميرًا على الحج في شهر ذي الحجة سنة تسع؛ ليقيم للمسلمين حجهم، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم، فخرج أبو بكر (﵁) ومن معه من المسلمين.(١)

وفي سنة إحدى عشرة من الهجرة عام ٦٣٢م بويع الصديق (﵁) بالخلافة فكلف عمر بن الخطاب (﵁) إمارة الحج لانشغاله بحروب الردة. ثم تولى بنفسه سنة اثنتي عشرة عام ٦٣٣م(٢).

وفي سنة إثنتى عشر حج بالناس خليفة سيدنا رسول الله الصديق (﵁)، وفي سنة ثلاث عشرة من الهجرة حج بالناس أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (﵁) وفي سنة أربع عشرة حج بالناس عمر بن الخطاب، ومن سنة ثماني عشر إلى ثلاث وعشرين حج عمر بن الخطاب (﵁) بالناس(٣).

وفي سنة أربع وعشرين إلى سنة ست وعشرين حج بالناس أمير المؤمنين عثمان بن عفان (﵁) وفي سنة خمس وثلاثين حج بالناس عبد الله بن عباس (﵁) وهو محصور في المدينة، ثم في سنة ست وثلاثين حج بالناس أيضا عبد الله بن عباس (﵁) بأمر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (﵁).(٤)

---

(١) سيرة ابن هشام: دار الصحابة بطنطا، ط١، ١٩٩٥، ج٤، ص ١٦.

(٢) ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط: الرياض: دار طيبة، ١٩٨٥م، ص ١١٧.

(٣) الحضراوي: أحمد بن محمد: مختصر حسن الصفا والابتهاج في ذكر من ولـي إمـارة الحج: تحقيق محمد ناصر الخزيم ومحمد بن سيد أحمد: القاهرة، ط١، ٢٠٠٧، زهـراء الشرق، ص ١١٠.

(٤) نفس المرجع: ص ١١١.

واستمر الأمر كذلك في سنة ثمان وثلاثين؛حيث حج بالناس قثم بن العباس بن عبد المطلب([1]).

وبانتقال الخلافة إلى بني أمية (٤١-١٣٢هـ-٦٦١-٧٤٩م) أصبحت الشام ملكا لهم وأضحت دمشق حاضرة العالم الإسلامي، وصار أمير الحج يخرج منها تصحبه كسوة الكعبة، وتجتمع جموع الحجيج من مختلف أنحاء العالم الإسلامي تحت لواء الخلافة الأموية مما ترتب على ذلك زيادة الاهتمام بطريق الشام إلى الحرمين الشريفين، الطريق الذي يربط بين العاصمة السياسية والعاصمة الروحية للمسلمين.

وقد حرص الخلفاء الأمويون على الاهتمام بشؤون الحج ورعايته حيث قام عدد منهم بإقامة شعيرة الحج بشخصه.

واستمرت إمارة الحج في عهد الدولة الأموية بداية من مروان بن الحكم الأموي أمير مكة([2]) ونهاية عام ١٣١هـ حج بالناس أميرا الوليد بن عروة بن محمد بن عطية السعدي([3]).

لم يحج من خلفاء بني أمية أثناء خلافتهم سوى خمسة، وهم: معاوية بن أبي سفيان، وعبد الملك بن مروان، والوليد وسليمان وهشام أبناء عبد الملك، ومنهم

---

(١) قثم بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ- قثم بْنُ الْعَبَّاسِ. بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بن عبد مناف. وأمه أم الفضل وهي لبابة الكبرى بِنْت الحارث الهلالية. وكان قثم يشبه برسول الله (ﷺ) وغزا قثم خراسان وكان عليها سعيد بن عثمان فقال له: اضرب لك بألف سهم. فقال: لا بل أخمس ثم أعط الناس حقوقهم ثم أعطني بعد ما شئت. وكان قثم ورعًا فاضلًا. وتوفي بسمرقند انظر الطبقات الكبرى لابن سعد.

(٢) الحضراوي: أحمد بن محمد: مرجع سابق، ص ١١٣.

(٣) نفس المرجع، ص ١٢٠.

من حج أكثر من مرة، مثل: معاوية وعبد الملك أما الثلاثة الآخرون فقد حجوا مرة واحدة([1]).

وفي عام ١٣٢هـ حج بالناس أميرا أبو سليمان داوود بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، وكان عم السفاح وهو أول من تولى إمارة الحج من العباسيين، واستمرت الإمارة في بني العباس حتى نهاية الدولة العباسية.

وسنعرض لها في السرد التالي للأحداث في ثنايا الفصل الثاني:

ومن عام ٦٥٤هـ إلى ٦٥٨هـ لم يحج أحد من سائر الجهات سوى حجاج الحجاز والقاضي بدر الدين بن جماعة، وقد سافر عن طريق البحر، وكان أمير الحج في هذه السنة؛ وذلك خوفا من الفتن القائمة من صاحب اليمن ومحاصرته لمكة وأهلها([2]).

---

(١) المقريزي: الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك: مكتبة الخانجي بمصر والمثنى ببغداد، ١٩٥٥م، مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة، ص ١١.

(٢) الحضراوي: أحمد بن محمد: مرجع سابق، ص ١١٠.

المبحث الثاني

جهود العباسيين في تأمين طرق الحج للعراق والحجيج وتوفير الخدمات

بدأت خلافة بني العباس عام ١٣٢هـ-٧٤٩م، وازداد حرص الخلفاء العباسيين وعنايتهم بطرق الحج ذلك إلى جانب رعايتهم للحرمين الشريفين، وتوفير الراحة بهما وللوافدين إليهما. قام أمراء الحج من الخلفاء وغيرهم بتوفير خدمات الحج في الطرق وبناء القصور وحفر الآبار وإقامة البرك والمصانع، ويتضح ذلك من وصف الجغرافيين والرحالة المسلمين لطريق الكوفة – مكة المعروف بطريق الجادة، فلا نجدهم يذكرون مكانا دون ذكر ما فيه من الآبار والقباب والقصور والمنشآت الأخرى([١]).

ولم يحج من خلفاء بني العباس في العصر الأول إلا ثلاثة خلفاء هم أبو جعفر المنصور وأبو عبدالله المهدي، وهارون الرشيد أما خلفاء العصر العباسي الثاني فقد شغلتهم حياة الترف والانقسامات عن الخروج إلى الحج والذي كان له أثر على الاهتمام ورعاية طرق الحج([٢]).

وبعد أن استتب الأمر للدولة العباسية عام ١٣٢هـ اهتم أبوالعباس السفاح بإصلاح طريق الركب العراقي، ففي سنة ١٣٤هـ أمر والي الكوفة عيسى بن محمد بإصلاح طريق الكوفة مكة، ووزع أعطيات على الأعراب الذين يسكنون على الطريق([٣]).

---

(١) ابن خرداذبه: عبيدالله بن عبد الله: المسالك والممالك: ط١، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨٩م، ص ١٣٤ – ١٣٦.

(٢) المقريزي: تقي الدين: مرجع سابق، ص ١١.

(٣) مالكي، سليمان بن عبدالغني: طريق ركب الحج العراقي من الكوفة إلى مكة من الفتح الإسلامي حتى سقوط بغداد: مجلة الدارة: مج ٩ ،ع ٢، أكتوبر ١٩٨٣، ص ١٤.

ومن أهم الخدمات التي أقيمت على طريق الجادة خدمات السيدة زبيدة زوج الخليفة هارون الرشيد والتي أصبح الطريق يعرف باسمها فيما بعد وقد أسهمت – كونها إحدى أميرات البيت العباسي – في تمهيد الدرب لتيسير طرق الحج وإقامة المنشآت على طول منازله([١]).

وقد تصدى أمراء الحج العباسيين للمفسدين واشتدوا في معاملتهم لقطع دابر المفسدين([٢]).

وكان من واجبات أمير الحج الرفق بالناس في السير وسلوك أوضح الطرق ويرتاد لهم المياه إن انقطعت ويحرسهم إذا نزلوا ويحوطهم إذا رحلوا، مع إشعار الناس بوقت الإحرام والخروج للمشاعر وترتيبهم على ما استقر عليه الشرع، والإمامة في الصلوات التي شرعت و خطب الحج وجمع الحجيج عليها، كخطبة الجمعة وخطبة يوم عرفة والحكم بين المتشاجرين([٣]).

وللخلفاء العباسيين دورهم فعندما تولى الخليفة المهدي أمر ببناء قصور أوسع من القصور التي بناها السفاح، وأمر باتخاذ المصانع في كل مكان وتجديد الأميال وحفر الركايا([٤]).

ومن مظاهر اعتناء الخلفاء العباسيين بالحج وطرق الحج عناية هارون الرشيد منذ بدء توليه الخلافة بالحج؛ حيث حج ثماني مرات وقيل تسع مرات وتولى إمارة الحج بنفسه عام ١٧٠هـ–٧٨٦م، وقد بلغ العطاء مداه في عهد

---

(١) كمال: سليمان صالح: إمارة الحج في العصر العباسي: من ١٣٢ – ٢٤٧هـ: رسالة ماجستير، ١٩٨٨، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة أم القرى، ص ٢٠٧.

(٢) نفس المرجع: ص ١٧٥ .

(٣) الماوردي: أبو الحسن على بن محمد: "الأحكام السلطانية، تحقيق أحمد جاد: دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ١٧٢.

(٤) المقريزي: تقي الدين: مرجع سابق، ص ٧٦.

هارون الرشيد حتى وصف أنه لم ير خليفة قبله أكثر عطاء منه وقد حج سنة ثمان وثمانين راجلا، وقسم أموالا كثيرة وهي آخر حجة حجها([١]).

كانت نهاية الدولة العباسية التي استمرت لما يزيد على خمسمائة عام وكان ذلك حدثا مهما على مر التاريخ الذي كان له بالغ الأثر للمعاصرين في هذا العصر والأجيال التالية لهذا العصر على حد سواء؛ وذلك لسقوط بغداد السهل على يد هولاكو وعدم استعداد المستعصم بالله والذي حاصره هولاكو ليستسلم بسهولة، وقد أثر هذا الحصار على المدينة وبالتالي لم يكن هناك حج ولا خروج للحجاج من المدينة إلى مكة أو المدينة([٢]) خلال هذا العام الذي دمرت فيه حاضرة الخلافة العباسية.

---

(١) المقريزي: تقي الدين: مرجع سابق، ص ٨٢.

(٢) Jakson , Peter ,٢٠١٧ , The Mongols and The Islamic world ,Yale university press , ١st edition , p.١٢٩

المبحث الثالث

ضعف الدولة العباسية وتأثير ذلك على طرق الحج

انتشر الرخاء في الدولة العباسية وتوسع نطاق الفكر كما زاد الترف لكن العصر العباسي الأول(١٣٢هـ-٢٣٢هـ) هو ما يمكن أن نطلق عليه العصر الذهبي للدولة، يليه العصر التركي (٣٢٣هـ-٣٣٤هـ)، يليه العصر البويهي (٣٣٤هـ-٤٤٧هـ)، يليه العصر السلجوقي (٤٤٧هـ- ٦٥٦هـ) وقد ظهر العديد من الدول المنفصلة من بينها الدولة الصفارية (٢٥٤هـ -٢٩٠هـ)، والدولة السامانية (٢٦١هـ- ٣٨٩هـ) والدولة الغزنوية (٣٥١هـ-٥٨٢هـ)، والدولة الطولونية في مصر(٢٢٤-٢٩٢هـ)، والدولة الإخشيدية في مصر (٣٢٣هـ-٣٣٤هـ)، والدولة الفاطمية في المغرب ومصر(٢٩٦هـ-٥٦٧هـ)، وغير ذلك من الدول التي استقلت([1]).

لقد مرت الدولة العباسية بالعديد من الكوارث الاقتصادية ولكن بلغت هذه الكوارث أوجها في عهد الخليفة المستعصم بالله، وكانت هذه الكوارث تتسبب في تدمير المحاصيل الزراعية، ونتيجة لذلك كان يقع نقص في المواد الغذائية وبالتالي ترتفع الأسعار كما كانت هناك زلازل، وقد أصاب بغداد فيضان دجلة، وكانت هناك فتن كما حدث من فتنة أهل حي الكرخ سنة ٦٤٥هـ([2]).

---

(١) زغروت: فتحي: النوازل الكبرى في التاريخ الإسلامي: الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٩م، القاهرة ص ٤٧.

(٢) ابن الفوطي: عبد الرزاق بن أحمد: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة: تحقيق مهدي النجم: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط ١، ٢٠٠٣م، ص ص ٢٢٠- ٢٢٨. بتصرف.

لقد تعرضت مواكب الحجاج للاعتداء من القرامطة الذين اتخذوا من البحرين سنة ٢٨١هـ مركزا وقاعدة لهم، وكانوا يستخدمون القوة لتهديد ونهب وسلب قوافل الحجاج الآمنين، ومن ذلك أن أقام أبو سعيد الجنابي بهَجَر عاصمة للبحرين بعد فترة من الحصار ومد نفوذه إلى المناطق المجاورة، والتي كانت تحت سيطرة الدولة العباسية([١]).

كما اعتدى القرامطة عام ٣١٧هـ بقيادة أبي طاهر القرمطي على الحجاج داخل المسجد الحرام وأخذوا الحجر الأسود إلى البحرين([٢]).

وقد حاولت الدولة العباسية إعادة الحجر الأسود ولكن لم تستطع بعدما حاولت استرجاعه بكل طريقة، وأصبحت الدولة العباسية ضعيفة غير قادرة على حماية مقدسات المسلمين فضلا عن أنها غير قادرة على حمايتهم وحماية أملاكهم([٣]).

---

(١) زكار: سهيل: أخبار القرامطة في الإحساء والشام والعراق واليمن: (١٩٨٢)، دار حسان للطباعة، ط ٢، ص ص ١١– ١٢.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ: دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٩م، ص ٥٣.

(٣)على: سعدى محمد: أثر حركة قرامطة البحرين على الحج: مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل: ع ٤٩: ٢٠٠٨، ص ٢٤٢.

المبحث الرابع

سقوط بغداد وأسباب السقوط

نشأت الخلافة العباسية بعد سقوط الدولة الأموية عام ١٣٢هـ، وكانت لها طور قوة، ثم مالبثت أن ضعفت جدا حتى أصبحت لا تسيطر حقيقة إلا على العراق العربي وخوزستان، وكان الخليفة العباسي في ذلك الوقت الناصر لدين الله (٥٧٧هـ -٦٢٣هـ)، ولم تعد الدولة العباسية قادرة على بسط سلطانها على ماجاورها من أقاليم مع استقلال العديد أربع من الدويلات([1]).

وقد تشيع الخليفة الناصر لدين الله بفعل بعض وزرائه الروافض قال عنه ابن كثير (رحمه الله):

"الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله أبي المظفر يوسف بن المقتفي لأمر الله.. العباسي.. كان قبيح السيرة في رعيته ظالمًا لهم، فخرب في أيامه العراق وتفرق أهله في البلاد، وكان يفعل الشيء وضده .. وكان اعتنق المذهب الشيعي .. ويقال: كان بينه وبين التتر مراسلات حتى أطمعهم في البلاد، وهذه طامة كبرى يصغر عندها كل ذنب عظيم([2]).

بغداد حاضرة الخلافة العباسية هي مدينة عظيمة كثيرة الأهل والخيرات تجبى إليها لطائف الدنيا وظرائف العالم فهي مجمع لطيبات الدنيا ومحاسنها، وبها دار الخلافة العباسية([3]).

---

(١) بخيت: رجب محمود إبراهيم: تاريخ المغول وسقوط بغداد: مكتبة الإيمان، ٢٠١٠، ط ١، ص ٥٠.

(٢) كتاب خيانات الشيعة. موقع البينة: www.albainah.net

(٣) الحلاق: حازم أحمد: الأوضاع الاجتماعية والعلمية والدينية والسياسية للمشرق الإسلامي قبل الحروب الصليبية (٣٣٤هـ-٤٩٠): رسالة ماجستير، كلية الآداب قسم التاريخ والآثار بالجامعة الإسلامية، غزة، ص ٢٧.

كانت السلطة الحقيقية في فترة حكم الخليفة المستعصم بالله في أيدي رجال الحاشية والبلاط، وقد زادت الحالة سوءا مع ضعف الخليفة وعدم قدرته على الحكم(١).

ومن المشكلات التي واجهتها الدولة، وكانت سببا لسقوطها الصراعات الداخلية.

كما مرت الدولة بالعديد من المشكلات الاقتصادية وكوارث متعددة منها زلازل وفيضان نهر دجلة، بيد أن الكوارث التي أصابت العراق كانت أكثر وطأة من تلك التي أصابت بلاد الشام؛ حيث استنزفت المقدرات المادية والبشرية(٢) ومصر أيضا أصابها ما أصاب بلاد الشام من القحط والجوع.وأسوأ ما أصاب مصر مجاعة عظيمة واستمر القحط لسبع سنوات، وقد بيع الإردب القمح بمائة دينار(٣).

كما كانت هناك مشاكل في إدارة الدولة نتيجة الصراعات الطائفية والدينية ويظهر ذلك بوضوح في الصراع بين ابن العلقمي وبين الدوادار وقد كان كل منهما يعارض الآخر في كل مسألة من المسائل الإدارية(٤).

ومن عوامل السقوط إهمال العباسيين لفريضة الجهاد؛ حيث تقوقع العباسيون إلى الداخل ولم نسمع عن معارك ذات شأن قامت بها الدولة منذ عهد المعتصم المتولي شؤون الدولة ٨٣٣هـ(٥).

---

(١) الغامدي: سعد بن محمد: مرجع سابق، ص ص ٢٠٢- ٢٠٣.

(٢) الحلاق: حازم أحمد: مرجع سابق، ص ١١٥.

(٣) ابن تغري: النجوم الزاهرة: ج ٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٢، ص ٨٦.

(٤) ابن الفوطي: عبد الرزاق بن أحمد: مرجع سابق، ص ١٥١.

(٥) الصلابي: علي محمد، دولة المغول والتتار بين الانتشار والانكسار، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٩م، ص ٢١٧.

لم يكن أمام المغول بعد استيلائهم على أملاك الدولة الخوارزمية أي قوة تستطيع اعتراض طريقهم نحو الغرب، وكان المسلمون يعرفون جيدا أهمية الدولة الخوارزمية كحاجز قوي بينهم وبين المغول([1]).

بعد قضاء هولاكو على طائفة الإسماعيلية سار لتحقيق هدفه الثاني وهو القضاء على الخلافة العباسية وقد أرسل في رمضان سنة ٦٥٥هـ–١٢٥٧م رسالة إلى الخليفة العباسي مصاغة في قالب من التهديد([2]) ثم سير الأمير بايجو إلى بغداد وقد اقتتلوا والدويدار الذي تبع عساكر المغول وقد قتل منهم عددا كبيرا ثم قفل إلى بغداد، ولكنه عاد إليهم وتوغل خلفهم حتى خيم الليل، ولكن عاد المغول وحملوا عليهم فلم يثبت عساكر الدويدار وانكسروا راجعين إلى بغداد وقد فاض نهر بشير وملأ الصحراء فعجزت الخيل عن سلوكه ووحلت فيه([3])، ولاقى معظم العسكر نفسه في نهر دجلة وهلك عدد كبير منهم، ووصل هولاكو خان في ١٢ محرم في جيش جرار ليدخلوا بغداد بعد أن نصبوا المجانيق ومع خيانة الوزير العلقمي وأتباعه وكان عساكر المغول يبالغون في الرمي حتى سقطت بغداد وقتل الخليفة، وكان عمره ست وأربعين سنة وأربعة أشهر وكانت مدة خلافته خمسة عشر سنة وثمانية أشهر وأياما([4]).

دخل المغول بغداد يوم ٤ صفر ١٠ فبراير ١٢٥٨م، وقد استسلم الخليفة المستعصم بالله استسلاما غير مشروط، وضع قومه تحت طائلة سيوف المغول استبيحت دماؤهم لما يزيد عن أسبوع، وقد قدر عدد من المؤرخين عدد الذين

---

(١) البهجي: إيناس حسني: تاريخ المغول وغزو الدولة الإسلامية: مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، ٢٠١٦، ص ٢٠٦.

(٢) نفس المرجع: ص ٢٠٩.

(٣) ابن الفوطي: عبد الرزاق بن أحمد: مرجع سابق، ص ٢٣٢.

(٤) ابن الفوطي: عبد الرزاق بن أحمد: مرجع سابق، ص ص ٢٣٣-٢٣٤.

قتلوا بثمانمائة ألف..، وقد أشار الرحالة الصيني Ch’ang Te "تشانج تيه" حالة البلاد عام ١٢٥٩م إلى انتشار آلاف الجثث معتمدا – أيضا – على المصادر المغولية وفي الحقيقة يصعب تحديد العدد بالضبط، ولكن يمكن تقديره بمئات الآلاف من القتلى، وقد دمرت العديد من أحياء بغداد أثناء الحصار وقد احترق حي الكاظمية عن بكرة أبيه، لكن هولاكو أمر بتجديد البنايات المدمرة(١).

وقد استباح المغول بغداد بعد أن ألقى أهل المدينة السلاح وبعد أن قتلت الصفوة بأمر هولاكو لجنوده باستباحة بغداد وقد خربوا المساجد وقتلوا الرجال والنساء والأطفال، وقد قدر المعتدلون من المؤرخين عدد القتلى بثمانمائة آلاف نسمة، وبقي الجيش يعمل أربعة وثلاثين يوما ثم أرسل هولاكو إلى صاحب الشام يهدده إن لم يخرب أسوار بلاده(٢).

على الرغم من هذه الضربة المفاجئة من هولاكو للدولة العباسية، فقد ثبت أن تقدمه المفاجئ من غرب آسيا لتدمير الخلافة العباسية كان الأكثر تدميرا ورعبا في العالم الإسلامي بعد غزوه لبلاد ما بين النهرين وبلاد الشام كما يذكر ابن الأثير حين يقول " لم يعان المسلمون منذ ولادة الرسول محمد (ﷺ) مثل هذه الآلام فمن ناحية شهدنا الدمار الذي أحدثه التتار في أذربيجان والعراق وسوريا، ومن ناحية أخرى كانت تهدد العالم قوة أخرى وخطر آخر هو الفرنجة ولم تكن لمصر قوة لكي تمنعهم، وكانت بقية بلاد الخلافة الإسلامية في الطريق للتدمير كحال بغداد والعراق وبلاد الشام"(٣).

---

(١) Bosworth.c Edmund ,(٢٠٠٧),Historic Cities of The Islamic World , Leiden.Boston ,Brill, ١st , p.٤٠

(٢) الذهبي: دول الإسلام: الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٩٨٥، ط١، ص ٣٦١ .

(٣) The Mongol Empire its rise and legacy , Routledge , ٢nd edition , .p٣٥٩ Pradwin ,Michael ,(٢٠١٧),

المبحث الخامس

نتائج سقوط بغداد على المسلمين وشعائر الحج

(سقوط إمارة الحج ..)

استبيحت بغداد وقتل الخليفة المستعصم بالله بعد أن عامله هولاكو أسوأ معاملة، حيث حرم عليه الطعام ثم قتله بعد أن جعله في جولق ليداس بأرجل الخيل([١]) وكان أفول شمس الخلافة العباسية في بغداد بعد أن أريقت الدماء ومر عليها أكثر من خمسة قرون، وكان أفولها كارثة على العالم الإسلامي والعربي والعالم أجمع؛ حيث لم يكن المغول يحملون قلوبا بها رحمة أو عقولا تعقل للمدنية معنى لقد حملوا الكتب الثمينة؛ ملايين الكتب الثمينة وفي بساطة شديدة لا تخلو من حمق([٢])، وألقوا بها جميعا في نهر دجلة، وكان مما يتميزون به أنهم لا يفرقون بين دين ودين ومذهب ومذهب، وكان نتيجة ذلك تسلط بعض رجال الأقليات المتميزين على الأكثرية([٣]).

وقد انتشرت الجثث في كل مكان، ومن ثمّ خاف هولاكو على جيشه من الأوبئة حيث الجثث المتعفنة فأمر بعودة جيشه إلى الشمال وبقاء حامية صغيرة وتعيين العلقمي الشيعي حاكما لبغداد مع وضع وصاية مغولية([٤]) وبذلك تحولت بغداد لمدينة ثانوية بعد أن كانت حاضرة الخلافة([٥]).

---

(١) الصلابي: محمد علي: مرجع سابق، ص ٢٠٢.

(٢) السرجاني: راغب: قصة التتار من البداية إلى عين جالوت: مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٦م، ص ١٦١.

(٣) الراوي: طه: بغداد مدينة السلام: مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٤، ص ٤١.

(٤) السرجاني: راغب: مرجع سابق، ص ١٦٤.

(٥) البهجي: إيناس حسني: مرجع سابق، ص ٢٨١.

خرج التتار من بغداد بعد أربعين يوما وبدأ التتار والمسلمون والنصارى يرتبون أوراقهم، وخرج المسلمون ليدفنوا موتاهم الذين يقترب عددهم من المليون جثة.

قرر هولاكو تحديد إدارة العراق يوم قتل الخليفة المستعصم بالله فعين مؤيد الدين العلقمي وزير الخليفة وزيرا، وفخر الدين بن الدامغاني صاحب ديوان الخليفة صاحب الديوان، وكان من الطبيعي أن يزول منصب الخلافة مع الفتح الوثني للمغول وزوال وظائف البلاط القائمة على خدمة الخليفة وخدمة منصبه الجليل(١).

وبقيت العديد من المناصب التي كانت في العصر العباسي كما هي، كما أبقى هولاكو الأوضاع الإدارية في بغداد على النمط العباسي ليستفيد من خبرتهم وسابق تجاربهم في جباية الضرائب والمكوس وتنظيم الأعمال.

كان لسقوط بغداد أثر كبير في النفوس لخلو الأرض من وجود خليفة، حاول السلطان قطز(٦٥٥-٦٥٨هـ-١٢٥٧-١٢٥٩م) حاكم مصر إعادة الخلافة العباسية إلى بغداد بعد انتصاره في معركة عين جالوت على الجيش المغولي فقد صارت زعامة المسلمين خالية يتطلع لها كل زعيم طموح، وقد نجح بيبرس في تنصيب أحد أفراد البيت العباسي خليفة للمسلمين وبذلك انتقلت الخلافة للقاهرة(٢).

---

(١) خصباك: جفر حسين: (١٩٦٨)، العراق في عهد المغول الايلخانيين ٦٥٦-٧٣٦هـ: مطبعة العالي، بغداد، ط١، ص ٦٦. انظر ياسين: عبده علي: العراق في عهد المغول الإيلخانيين: رسالة دكتوراة مقدمة لكلية اللغةا لعربية جامعة الأزهر ١٩٧٨م.

(٢) خصباك: جفر حسين: (١٩٦٨)، العراق في عهد المغول الايلخانيين ٦٥٦-٧٣٦ هـ: مطبعة العالي، بغداد، ط١، ص ٦٦. انظر ياسين: عبده علي: العراق في عهد المغول الإيلخانيين: رسالة دكتوراة مقدمة لكلية اللغةا لعربية جامعة الأزهر ١٩٧٨م.

وقد تمكن المجتمع العراقي من احتواء الغزاة من خلال اعتناقهم الدين الإسلامي، فاندمجوا في المجتمع الإسلامي العراقي تدريجيا وتأثروا بالعادات والتقاليد، والثقافة العربية والإسلامية، كما زادت حرية الأدباء وأصبحت هناك حركة فكرية واسعة وزاد اهتمامهم بالموسيقى والغناء، والأدب([١]).

وفيما يخص الحج ورحلة الحج كان موكب الحجيج يخرج من بغداد إلى الديار المقدسة في كل سنة، وكان من العادة أن يتولى الإشراف على هذا الموكب أمير مهمته حمايته وصيانته وهو يتصدرهم في القيام بشعائر الحج ويشترط معرفته بالطرق ومنازل الأعراب ومكامن اللصوص. وقد بذل سلاطين المغول في العراق جهودا كبيرة في سبيل سيطرتهم على الحرمين الشريفين لا سيما في الأوقات التي تخف فيها وطأة الدولة المملوكية ودولة بني رسول عن الحجاز، ولم يكن ركب الحاج العراقي مستمرا في رحلاته إلى الحجاز، بل كانت هناك فترات انقطع فيها عن الوصول إلى مكة([٢]).

كان عماد الدين عمر القزويني أول حاكم مغولي حكم العراق بعد سقوط بغداد، ويقول عنه ابن الفوطي في الحوادث الجامعة أنه كان من أعيان قزوين، وكان على علم ودين، وقد عمر المساجد والمدارس، وأعاد رونق الإسلام لمدينة الإسلام([٣]). ثم تبعه بعد ذلك الجويني الذي جدد الكثير من المدارس ودور الكتب، وعني بتعمير المشاهد في النجف وكربلاء والكاظمية([٤]).

---

(١) أمين: محمد فتحي: الغزو المغولي لديار الإسلام: ص ص ١٢٩–١٣٠.

(٢) العبدلي: عائشة مانع: رسالة ماجستير بعنوان إمارة الحج في عصر الدولة المملوكية وأثرها على الأوضاع الداخلية بمكة، جامعة أم القرى، ١٩٩٩، ص ١٩١.

(٣) شبر: السيد حسن: خلفاء بني العباس والمغول أسقطوا بغداد: المجمع العالمي لأهل البيت، بيروت، ط ١، ٢٠١١ م، ص٥٧٦.

(٤) شبر: السيد حسن: مرجع سابق: ص ٥٧٨.

وبعد أن تحالف المغول مع المسيحيين بدأ تحرك الجيش المغولي من إذربيجان إلى بلاد الشام في رمضان سنة ٦٥٧هـ-سبتمبر ١٢٥٩م، وأبدى الملك الكامل محمد الأيوبي صاحب ميافارقين ضروبا من البطولة والشجاعة في مواجهة الحملة المغولية مما أدى إلى إطالة حصار المدينة، لمدة عامين تمكن المغول خلالها من الاستيلاء على نصيبين وحران، والرها حتى بلغوا البيرة ثم عبروا الفرات واستولوا على سروج واستباحوا منبج([١]).

وشاءت الإرادة الإلهية أن يواجه المماليك في مصر وحدهم هذا التحالف المغولي المسيحي فتمكنوا من التصدي للمغول والحيلولة دون تحقيق أهدافهم وأنزلوا بالمغول هزيمة كبيرة في موقعة عين جالوت ٦٥٨هـ-١٢٦٠م([٢]).

لم يستمر حكام دولة مغول فارس على وثنيتهم فلم يلبث الإسلام أن انتصر عليهم فبعد أن جلس على عرش دولتهم تكودار ٦٨١هـ-١٢٨٢م، والذي اسلم في مطلع شبابه اتخذ لقب تكودار وبذل قصارى جهده في نشر الإسلام في مغول فارس واهتم بإحلال السلام مع دولة المماليك؛ حيث أرسل عدة رسائل للسلطان المنصور قلاوون لعقد صلح بين البلدين، كما اهتم بأمر الحرمين الشريفين؛حيث أمر بتسيير قوافل الحج من العراق إلى مكة المكرمة وقد أشار إلى ذلك في رسالته إلى السلطان قلاوون التي وجهها إليه في شهر جمادى الأولى ٦٨١هـ([٣]).

---

(١) محمد: صبحي عبد المنعم: قيام دولة المغول الايلخانيين في ايران و العراق ٦٥٤ – ٧٤٤هـ-١٢٥٦ – ١٣٤٤م: المجلة العلمية الكلية الآداب الناشر: جامعة أسيوط – كلية الآداب: ع ٣١: ٢٠٠٩، ص ١٥٦.

(٢) نفس المرجع: ص ١٥٨. بتصرف.

(٣) زيان: آمال حامد: الإيلخانيون والحرمان الشريفان: جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج، مداولات اللقاء العلمي السابع عشر، ٢٠١٦م، ص ١٤٠.

المبحث السادس
نظام الحكم المغولي في بغداد

لقد تدهورت الأوضاع العامة في بغداد في أعقاب الاحتلال المغولي له، كما شهدت مدنه تدهورا كبيرا من جراء أعمال التدمير التي رافقت الاحتلال، والإهمال الذي عانته من قبل إدارة الاحتلال، وقد تعرضت بغداد للغرق في السنوات ١٢٧٧م و ١٢٨٤م، كما زاد الأمر سوءا تعرض البلاد لموجات الجراد مما أدى إلى تلف المحاصيل، كما كانت الضرائب ثقيلة وخاضعة لأهواء الحكام كضريبة الخراج وضريبة الرؤوس وضريبة الأسواق، وقد ضعف اهتمام الدولة فأدى ذلك إلى تدهور البلاد اقتصاديا(١).

اضطربت الحياة الاجتماعية في بغداد بعد الغزو المغولي؛ إذ أصبح عامة الشعب يعانون من أسوأ حالات الفقر والجوع والنقص في الأموال، وقد ارتفعت الأسعار وانتشرت المجاعات، وكثيرا ما تعرض العراق في هذه الفترة إلى هجمات خارجية دونما رد(٢) فعل من سلطات الاحتلال، فضلا عن غزوات البدو على المدن الآمنة.

ساءت حالة العراق العلمية والثقافية في عهد المغول، حيث هلك عدد كبير من العلماء بالقتل، ومن نجا منهم فر من العراق، إلى جوار تخريب مكتبة بغداد، على أن الأمر لم يستمر طويلا؛ حيث تغيرت سياسة المغول تجاه العلماء

(١) عبدالله: إيناس سعدي: تاريخ العراق الحديث، دار صفحات، دمشق، ٢٠١٤، ص ص ٧٩-٨٠.

(٢) نفس المرجع: ص ٨١ .

والأدباء بعد أن استتب لهم الأمر([1])، وقد أثر ذلك على الحركة من العراق وإلى العراق وخاصة بين مدن العراق بغداد والبصرة والكوفة والحجاز.

كانت الزراعة ولم تزل العمود الفقري للاقتصاد، وكان خصب العراق مطمع أنظار المحتلين جميعا، وحين استولى المغول على بغداد استمر وضع الملكية العقارية على إقطاع القرى للقواد، أما أراضي الوقف فقد وضعت تحت إشراف صدر الوقف للإشراف عليها، وقف المال اللازم للإنفاق عليها، وقد حافظ الإيلخانيون على النظام الإسلامي في نظام الضرائب، فالأراضي العشرية استمرت على إعطاء العشر، والأراضي الخراجية تدفع الخراج([2]).

انصدم المغول عندما شاهدوا حضارة الإسلام بعد إنهاء غزواتهم، وقد اندهشوا من حياة الاستقرار في مدن الإسلام لما فيها من مظاهر حضارية تتمثل في القصور والدور والمدارس، والمساجد والحدائق لم تكن معروفة بالنسبة لهم سواء ما كان ممارسا من حياة اجتماعية وأساليب حياتية لم يسبق لهم أن عاشوها([3]).

ومن المعروف أن المغول كانوا قوما يفتقرون إلى الإدارة والمعرفة لأنهم مارسوا حياة البداوة، لذا نلاحظ أن الوزراء وكتابهم كانوا من المسلمين إذا ما علمنا أن المسلمين أخذوا يقدمون العون للمغول الأمر الذي هون من شدة

---

(١) الصلابي: علي محمد. (ط ١، ٢٠٠٩م)، دولة المغول والتتار بين الانتشار والانكسار. بيروت، دار المعرفة، ص ٢٥٢.

(٢) الرفاعي: عبد الباسط مصطفى: من جوانب الحياة الاقتصادية لبغداد أثناء سيطرة المغول الإيلخانيين: مجلة الدراسات الإنسانية، مج ٨، ع ٣٠، السنة ٨، تموز ٢٠١٢م، ص ٧٣.

(٣) فلح: محمد يونس: تأثر المغول بالإسلام: مجلة العلوم الإسلامية، جامعة الموصل، مج ٥، ع ٩، ٢٠١١، ص ص ٢٢٥.

معاملة المغول للمسلمين، وبالتالي اتسعت سياسة التسامح والمسالمة، والتعايش السلمي فصار الطرفان في مسالمة، وأصبح للموظفين المسلمين نفوذ في دولة المغول بعد أن شغلوا مناصب في وظائف الحكم الإداري، وأدى الأمر إلى تحول المغول إلى الدين الإسلامي واعتناقهم للإسلام(1).

وقد شهدت مدينة كربلاء ومعظم الأعمال الواسطية إصلاحات عمرانية واسعة في عهد السلطان محمود غازان (٦٩٤- ٧٠٣هـ)، وقد قام السلطان غازان بزيارة مشهد الإمام الحسن لمرات عديدة والمشاهد المقدسة الأخرى ٦٩٦هـ و ٦٩٨هـ، ولم تكن زيارته للمدن المقدسة لغرض التبرك فقط، ولكن للتعمير أيضا فقد قام بتعمير مدينة النجف وقام بتعمير ضريح الحسين(2).

ومن الشيعة الذين كانوا إلى جوار غازان رشيد فضل الدين الهمداني وهو مؤرخ وطبيب وله كتب ومؤلفات عديدة وله كتاب جامع التواريخ للهمداني، ويعد من المصادر المهمة في تاريخ المغول الإيلخانيين(3).

---

(١) فلح: محمد يونس: تأثر المغول بالإسلام: مجلة العلوم الإسلامية، جامعة الموصل، مج ٥، ع ٩، ٢٠١١، ٢٣١.

(٢) الطائي: سعاد هادي حسن: المدن المقدسة في العراق (النجف وكربلاء) في عهد المغول الإيلخانيين: منشور في مجلة دراسات في التاريخ والآثار، كلية الآداب، جامعة بغداد، ع ٤١، ٢٠١٤م، ص ٨ .

(٣) انصاري: بهمن: مغولان در إيران، كتابخانه مجازي تاريخ بوك: ١٣٩٣هـ، ط١، ص ١٣.

المبحث السابع
نتائج طريقة الحكم على ممارسة العراقيين المسلمين لشعائر الحج

عاني العراق من حالة التدمير والدمار على المستوى العسكري والأمني والعلمي؛ حيث كان إعداد التتار العسكري مبهرا وقويا وكان منكوخان خاقان التتار يقسم العالم إلى دول مارقة ودول صديقة، وقد كون التتار تحالفا مع الدول النصرانية واستفادوا من أرمينيا، وتحالفوا مع أكراد العراق وتعاونوا مع بعض الأمراء المسلمين الذين دانوا لهم بالولاء، وتعاون معهم الشيعة ويظهر ذلك جليا في ابن العلقمي الذي عمد لإنقاص عدد الجيش، وقد تفشت الأمراض الأخلاقية في الأمة نتيجة البعد عن الله وشريعته والركون للدنيا وترك للجهاد، وإسناد الأمر لغير أهله(١).

تعرضت المدن الإسلامية التي دخلها المغول لأضرار تجارية واقتصادية بالغة، وقد جمع المغول أموالا طائلة من التجار وأرباب الأموال والحكام، وعندما دخل هولاكو بغداد توجه إلى قصر الخلافة ليحمل هو وقواده العدد الكبير من المجوهرات والحلي من بغداد والروم والسلاجقة وجورجيا وأرمينية وكردستان، ولكن حرص المغول على عدم قتل أصحاب الحرف والصناعات في المدن للاستفادة منهم واستخدامهم كدروع بشرية(٢).

---

(١) بخيت: رجب محمود: مرجع سابق، ص٣٣٣. بتصرف.

(٢) الوجيه: محمد قايد حسن: الأثر الحضاري للغزو المغولي للمشرق الإسلامي: مجلة جامعة الناصر ص، ع ٦م ٢ يوليو – ديسمبر ٢٠١٥م، ص ص ٤٦٦ .٤٦٧.

لكن انتصار عين جالوت ٦٥٨هـ-١٢٦٠م كان عودة للهيبة الإسلامية بعد غياب أكثر من ستين سنة(١).

ولكن لم يستمر الأمر كذلك فقد تعددت العوامل التي أدت إلى اعتناق المغول للإسلام تدني أحوال المغول الدينية والحضارية وسمو الحضارة الإسلامية وتقدمها، فقد كانت حياتهم تقوم على الترحال الدائم، وكانت ديانتهم الشامانية ديانة بدائية وثنية، ولم يلبث المغول أن تحولوا للإسلام وتفاعلوا مع حضارته(٢).

ويعتبر بركة خان أول من أسلم من إيلخانات المغول، وقد أخلص للإسلام الإخلاص كله، وجعل كل جيشه من المسلمين، وكان سنيا شديد التمسك بدينه وقد اشتد غضبه عندما تقدم هولاكو لغزو الخلافة العباسية، وتوعد هولاكو بالحرب بعد أن اعتدى على حرمة الخليفة وقتله وأهل بيته(٣).

ولم يلبث أن إعتنق ثالث حكام المغول الايلخانيين في فارس تكودار عام ٦٨١هـ-١٢٨٢م والذي أسلم في مطلع شبابه واتخذ لقب "أحمد تكودار "وبذل قصارى جهده لنشره بين مغول فارس(٤) والعراق.

اتخذ القادة المغول زوجات تركيات وزوجات فارسيات إلى جانب اتخاذهم زوجات مسلمات عندما اجتاحوا العالم الإسلامي واللاتي كان لهن تأثير على رجال البلاط كما كن يقمن على تربية أولادهم ويشرفن على الخدمة مما أثر في نفوسهم ومهد للتحول إلى الإسلام(٥).

---

(١) السرجاني، راغب، قصة التتار من البداية إلى عين جالوت، مركز السلام، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٦م، ص ٣٤٥.

(٢) الوجيه: محمد قايد حسن: مرجع سابق، ص ٤٧٤.

(٣) بخيت: رجب محمود: مرجع سابق، ص ص ٤١٠-٤١١.

(٤) زيان: آمال حامد: مرجع سابق، ص ١٣٩.

(٥) فلح، محمد يونس: مرجع سابق، ص ٢٢٨ .

تمتع التجار في العراق في العهد الايلخاني بمنزلة عالية من الاحترام والتقدير، حيث ينعت العديد منهم بالرئاسة والنفوذ والوجاهة، ويوصفون بالإحسان والبر([1]).

كان طريق الحجاج إلى مكة معطلا منذ سقوط بغداد سنة٦٥٦هـ-١٢٥٨م ولم يحج سنة ٦٥٥هـ من الآفاق سوى ركب الحجاز ولم ترفع راية لملك من الملوك، وفي سنة ٦٥٦هـ لم يحج الحاج العراقي، وفي سنة ٦٥٧هـ تولى الملك المظفر يوسف بن المنصور عمر بن رسول آمر الحرم الشريف وعمارته وإقامة مناره وفي ٦٥٨هـ لم يكن فيها حج كما يذكر وفي سنة ٦٦١هـ كسا بيبرس الصالحي الكعبة الشريفة وهو أول من كساها من ملوك مصر الترك([2]).

وفي سنة ٦٦٦هـ حج العراقي من بغداد، وهي أول حجة حجوا فيها بعد غلبة التتار على بغداد في ٦٥٥هـ، وحج الصاحب محيي الدين بن الصاحب بهاء الدين بن حنا، وأرسل المظفر صاحب اليمن كسوة البيت الحرام وكسوة للحجرة النبوية ووجه مئة ألف دينار لعمارة البيت الحرام([3]).

وفي سنة ٦٨٨هـ كان أمير الحاج يقال له الشالق، وحج ركب كبير من أهل العراق ولم يصل ركب اليمن، وإنما جاءوا آحاد وفي سنة ٦٩٩هـ لم يحج من الديار الشامية أحد وحج من الديار المصرية([4]).

---

(١) آل ياسين: محمد مفيد: دراسات في تاريخ العراق في العهد الإيلخاني (عهد السيطرة المغولية): دار غيداء، ط ١، ٢٠١٠م، ص ٩٨.

(٢) ا لجزيري الحنبلي، عبد القادر بن محمد، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، مجلد ١، تحقيق محمد حسن محمد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م، ص ٣٧٧.

(٣) الجزيري الحنبلي، عبد القادر بن محمد: مرجع سابق، ص ٣٧٨.

(٤) نفس المرجع، ص ص ٣٨٢ -٣٨٣.



ومما تقدم يتبين لي كيف كان حال البلاد الإسلامية وتطور أهمية إمارة الحج ودورها في عهد العباسيين، وسقوط بغداد وعهد المغول الإيلخانيين والنتيجة أنه كان هناك تأثير كبير على طريق الحج العراقي من حالات توقف لطريق الحج نتيجة للحوادث التاريخية التي مر بها العراق، خاصة سقوط بغداد على يد هولاكو والمغول، وتأثر إمارة الحج وطريق الحج من العراق إلى مكة المكرمة وتأثير القبائل التي كانت تسكن على الطريق من العراق على مكة، مع تأثير صلة الشيعة بالمغول ونظام الحكم في العراق، والاهتمام بالمراقد الشيعية الذي فتح الطريق للحج الشيعي لهذه المراقد في العراق وإيران وانصرافهم عن الحج لمكة نتيجة لصعوبات الطريق، كما نجد تأثيرا لتحول المغول للإسلام ومن ثم محاولة المغول الحج في عهد تكودار، وقد فشلوا بسبب غارات البدو والقرامطة وما لذلك من تأثير على ممارسة العراقيين لشعيرة الحج، ومع علاقة المغول بالشيعة وميل الحكام المغول لهم والحفاظ على مقدساتهم جعل ذلك بغداد بيئة جاذبة للشيعة لعامتهم و علمائهم، مع اضطهاد السنة، ومن ثم ابتداع الحج الشيعي إلى كربلاء والنجف وغيرها، من مدن العراق ومع انتشار حالة عدم التوازن في أنحاء العالم الإسلامي بسبب المغول وإسقاط الخلافة العباسية الذي كان له أكبر الأثر على ممارسة الحج وعلى طريق الحج مع استمرار رحلة الحج من السنة، مع كثرة المشكلات والصعوبات في طريق الحج كونه فريضة من فرائض الإسلام لمن استطاع إليه سبيلا.

المصادر و المراجع

أولا : المصادر:

١. **القرآن الكريم.**

٢. **ابن الأثير**، (٢٠٠٩م)، الكامل في التاريخ، بيروت، دار الكتب العلمية.

٣. **ابن الفوطي، عبد الرزاق بن أحمد**، (٢٠٠٣م، ط١)، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، بيروت، دار الكتب العلمية.

٤. **ابن خرداذبه، عبيد الله بن عبد الله**، (١٨٩٩م)، المسالك والممالك. ليدن، بريل.

٥. **ابن خياط**، (١٩٨٥، ط١)، تاريخ خليفة بن خياط. الرياض، دار طيبة.

٦. **ابن هشام، عبد الرحمن بن عبدالله**، (١٩٩٥، ط١)، سيرة ابن هشام، طنطا، دار الصحابة.

٧. **أبو الحسن علي بن إسماعيل**، (١٩٩٠م)، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية.

٨. **الجزيري الحنبلي، عبد القادر بن محمد**، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، مجلد ١، تحقيق: محمد حسن محمد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت (٢٠٠٢م).

٩. **الجزيري الحنبلي، عبد القادر بن محمد**، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، مجلد ٢، تحقيق: محمد حسن محمد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت (٢٠٠٢م).

١٠. **الذهبي**، (١٩٨٥م، ط١)، دول الإسلام، بيروت، لبنان، الأعلمي للمطبوعات.

١١. **الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد،** (٢٠٠٦، ط١)، الأحكام السلطانية، القاهرة، دار الحديث.

١٢. **المقريزي، تقي الدين،** (١٩٥٥، ط١)، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والنشر.

ثانيا: المراجع:

١- **آل ياسين، محمد مفيد،** (ط ١، ٢٠١٠م)، دراسات في تاريخ العراق في العهد الإيلخاني (عهد السيطر المغولية)، عمان، دار غيداء.

٢- **آل ياسين، محمد مفيد،** (ط١، ٢٠١٠م)، دراسات في تاريخ العراق في العهد الإيلخاني، كليةا لتربية الجامعة المستنصرية، عمان، دار غيداء.

٣- **الأعظمي، علي ظريف،** (ط ١، ٢٠١٢م)، مختصر تاريخ البصرة، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

٤- **البهجي، إيناس حسني،** (٢٠١٦م)، تاريخ المغول وغزو الدولة الإسلامية، عمان، مركز الكتاب الأكاديمي.

٥- **الخضراوي، أحمدبن محمد،** (٢٠٠٧، ط١)، مختصر حسن الصفا والابتهاج في ذكر من ولي إمارة الحج، القاهرة، زهراء الشرق.

٦- **الراوي، طه،** (٢٠١٤م)، بغداد مدينة السلام، القاهرة، مؤسسة هنداوي.

٧- **الرفاعي، عبد الباسط مصطفى،** (تموز، ٢٠١٢- مج ٨، ع ٣٠، السنة ٨). من جوانب الحياة الاقتصادية لبغداد أثناء سيطرة المغول الإيلخانيين، مجلة الدراسات الإنسانية، صفحة ص ٧٣.

٨- **السرجاني، راغب،** (ط١، ٢٠٠٦م)، قصة التتار من البداية إلى عين جالوت، القاهرة، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع.

٩- **الصلابي، علي محمد،** (ط ١، ٢٠٠٩م)، دولة المغول والتتار بين الانتشار والانكسار، بيروت، دار المعرفة.

١٠- **الطائي، سعاد هادي حسن، (ع ٤١، ٢٠١٤م)**، المدن المقدسة في العراق (النجف وكربلاء) في عهد المغول الإيلخانيين، منشور في مجلة دراسات في التاريخ والآثار، كلية الآداب، جامعة بغداد، صفحة ص ٨.
١١- **الطريحي، محمد سعيد، (ط ١**، تاريخ نشر غير موجـود)، الـشيعة فـي العصر المغولي، ص ١٧، دلهي، دار المعارف الهندية.
١٢- **العريني، السيد الباز**، (١٩٨١م)، المغول، القاهرة، دار النهضة العربية.
١٣- **العزاوي، عباس، (١٩٣٥م)**، تاريخ العراق بين احتلالين حكومة المغول مجلد ١، بغداد، مطبعة بغداد.
١٤- **الغامدي، سعد بن محمد**، (١٩٨١م، ط٢)، الدولة العباسية ودور الـشيعة بين الحقيقة والاتهام، الرياض، ابن حذيفة.
١٥- **الغامدي، سعد بن محمد، (ط ١، ١٩٨١م)**، سقوط الدولة العباسـية ودور الشيعة بين الحقيقة والاتهام، القاهرة، دار ابن حذيفة.
١٦- **الموجيه، محمد حسن القايد، (**ع ٦، مـج ٢ ديـسمبر ٢٠١٥م)، الأثـر الحضاري للغزو المغولي للمشرق الإسلامي ٦١٧هـ- ٨٠٣هـ، مجلـة جامعة الناصر، صفحة، ص ٤٧٧.
١٧- **الوجيه محمد قايد حسن، (**ع ٦م ٢ يوليـو- ديـسمبر ٢٠١٥م)، الأثـر الحضاري للغزو المغولي للمشرق الإسلامي، مجلة جامعة الناصر.
١٨- **أمين، محمد فتحي، (**ط١، ٢٠٠٧م)، الغزو المغـولي لـديار الإسـلام، القاهرة، دار الأوائل للنشر والتوزيع.
١٩- **بخيت، رجب محمود إبراهيم،** (٢٠١٠م ط١)، تاريخ المغـول وسـقوط بغداد، المنصورة، مكتبة الإيمان.
٢٠- **بخيت، فائز على**، مجلة كلية العلوم الإسلامية، مج ١ع ٢ : ٢٠٠٨م.

٢١- **برتولد شبولر**، نقلة للعربية أ. خالد أسعد عيسى، (ط١، ١٩٨٢م)، العالم الإسلامي في العصر المغولي، دمشق، دار حسان للطباعة والنشر.

٢٢- **خصباك، جفر حسين**، (١٩٦٨م، ط١)، العراق في عهد المغول الإيلخانيين ٦٥٦-٧٣٦هـ، بغداد، مطبعة العالي.

٢٣- **زغروت، فتحي**، (٢٠٠٩م، ط١)، النوازل الكبرى في التاريخ الإسلامي، القاهرة، الأندلس للنشر والتوزيع.

٢٤- **زكار، سهيل**، (١٩٨٢، ط٢)، أخبار القرامطة في الإحساء والشام والعراق واليمن، دمشق، دار إحسان للطباعة.

٢٥- **زيان، آمال حامد**، (٢٠١٦م)، الإيلخانيون والحرمان الشريفان"، مداولات اللقاء العلمي السابع عشر مجلس دول التعاون (صفحة ص ١)، المنامة، جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج.

٢٦- **شبر، السيد حسن**، (٢٠١١م ط١)، خلفاء بني العباس والمغول أسقطوا بغداد، بيروت، المجمع العالمي لأهل البيت.

٢٧- **على، سعدى محمد**، أثر حركة قرامطة البحرين على الحج، مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، ع ٤٩م، ٢٠٠٨م.

٢٨- **فلح، محمد يونس**، (مج ٥، ع ٩، ٢٠١١م)، تأثر المغول بالإسلام، مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة الموصل.

٢٩- **مالكي، سليمان بن عبدالغني**، طريق ركب الحج العراقي من الكوفة إلى مكة من الفتح الإسلامي حتى سقوط بغداد، مجلة الدارة، مج ٩، ع ٢، أكتوبر ١٩٨٣م.

٣٠- **محمد، صبحي عبد المنعم**، قيام دولة المغول الايلخانيين في إيران والعراق ٦٥٤-٧٤٤هـ-١٢٥٦ – ١٣٤٤م، المجلة العلمية الكلية الآداب الناشر، جامعة أسيوط، كلية الآداب، ع ٣١ : ٢٠٠٩م.

٣١- **مؤنس، حسين،** (١٩٨٧م ط١)، أطلس تاريخ الإسلام، القاهرة، الزهـراء للإعلام العربي.

الروابط:

١- **كتاب خيانات الشيعة**، موقع البينة، www.albainah.net

المراجع الأجنبية

١- **هاينس هالم**، ترجمة: محمود كبيبو، (ط ١، ٢٠١١ م)، الشيعة، بيـروت، الوراق للنشر المحدود

الرسائل العلمية

١- **الحلاق، حازم أحمد،** (٢٠١٤م)، الأوضاع الاجتماعية والعلميـة والدينيـة والسياسية للمشرق الإسلامي قبل الحروب الـصليبية (٣٣٤هـ -٤٩٠)، غزة، رسالة ماجستير، كلية الآداب قسم التاريخ والآثار بالجامعة الإسلامية.
٢- **العبدلي، عائشة مانع**، رسالة ماجستير بعنوان إمارة الحج في عصر الدولة المملوكية وأثرها على الأوضاع الداخلية بمكة، جامعة أم القرى، ١٩٩٩م.
٣- **وشاح، غسان محمود،** (٢٠٠٧م)، موقف الشيعة من غزو المغول للعراق، رسالة ماجستير، غزة، الجامعة الإسلامية كلية الآداب.
٤- **ياسين، عبده علي**، العراق في عهد المغول الإيلخانيين، رسـالة دكتـوراة مقدمة لكلية اللغة العربية جامعة الأزهر ١٩٧٨م.

المراجع الأجنبية

1– **Boswort,C Edmund** ١ (st edition ٢٠٠٧), Historic Cities of The Islamic World.

2 – Leiden.Boston: Brill.

3 – **Pradwin, Michael,** (٢٠١٧) ١st edition (The Mogol Empire its rise and legacy), London and New York, Routledge.

4 – **Peter Jakson,** (٢٠١٧ ١), st edition), The Mongols and The Islamic World, U.S.A, Yale Publisher.

٥. **انصاري، بهمـــن،** (١٣٩٣، ط١)، مغولان در إيران، طهران، كتاب خانـــه مجازي تاريخ بوك.

فهرست الموضوعات

